الفصل الثالث

١- المرأة في عيون الأدب

الأدب هو نوع ثانى من التاريخ بجانب الأحداث التاريخية بما تحمله من سياسة وحروب ونزعات أو حتى تطوير لكيان هذه الأمة ، والأدب فى كل عصر يصور حال هذا الأمة من حيث التفكير وطبيعة الحياة ومنظور الرجل والمرأة وبالتالى فإن حالة المرأة فى المجتمع تابعة لحالة الأدب فى الأمة ،، ولذلك وجب علينا أن نبين نظرة الأمة للمرأة من خلال المنظور الادبى وذلك من خلال كتابنا العظام من أمثال (**توفيق الحكيم**) **و** (**فتحي غانم**) .

obeikan.com

٢- نظرة الحكيم للمرأة من خلال إحدى رواياته (الرباط المقدس)

توفيق الحكيم الملقب بعدو المرأة ولكن كتاباته تشهد بعكس ذلك تمامًا فقد حصلت المرأة على نصيب وافر في أدب توفيق الحكيم ، وتكلم عنها بصورة كلها اجلال واحترام الذي كاد أن يصل إلى حد التقديس.. والمرأة في أدب الحكيم متميزة بالإيجابية والتفاعل، ولها تأثير في الأحداث ودفعة لحركة الحياة، ويظهر ذلك واضحاً في مسرحياته شهرزاد، وأيزيس، والأيدي الناعمة، وبجماليون، وقصة الرباط المقدس، وعصفور من الشرق، وعودة الروح.

أما عن الإتهام فقد أشتهر الحكيم في حياته بلقب « عدو المرأة » ويقول : السبب في هذا الإتهام لصلاح منتصر في كتابه « شهادة توفيق الحكيم الأخيرة » يرجع إلى السيدة هدى شعراوى بسبب مهاجمتى أسلوبها في تشكيل عقلية المرأة المصرية خاصة البنات، بأن حذرتهن من الإستمرار في حياة الجوارى وخدمة الرجال والأزواج في البيت لأنهن مساويات للرجل في كل شيء وأشتكى لى بعض الأزواج من البنات والزوجات، اللاتى يفكرن بطريقة هدي شعراوى فى فهمها لرقى المرأة وأنه إستعلاء على الرجل وعدم الخدمة في البيت فكتبت في ذلك ، ونصحت الزوجة الحديثة بأن تعرف على الأقل أن تهيئ الطعام لزوجها وأن أسهل صنف يمكن أن تطبخه له هو صينية البطاطس في الفرن .. وفى ١٩٤٦ تزوج الحكيم أثناء عمله في « أخبار اليوم » ، وأنجبت له زوجته طفلين هما إسماعيل وزينب، ولم يخبر أحداً بأمر زواجه حتى علق مصطفى أمين قائلاً (نحن الصحفيين مهمتنا الحصول على الأخبار ونحصل عليها من السراى ولا نعرف بزواج الحكيم) ويكتب مصطفى أمين عن زواجه في مقال له بعنوان (عدو المرأة يتزوج بشروطه) وينقله لنا الدكتور أحمد سيد محمد في كتابه (

توفيق الحكيم.. سيرته وأعماله) فيقول: إنه أخفى عليهم أمره ثم اعترف لهم بأنه تزوج من سيدة مطلقة لها ابنتان ، وأن الزواج عقلى الغرض الأول منه تأسيس بيت يصلح لحياة فنان، الكتب فيه أهم من الفراش، والموسيقى فيه أكثر من الطعام . .

ملخص الرواية :

الدكتور رأفت لا يهتم ولا يعتني بزوجته الشابةسميحة قدر ما يهتم بقراءة ومتابعة مؤلفات الكاتب الشهير راهب الفكر الذي استحوذا على كل اهتمامه ، فتقرر الزوجة أن تبحث عند الراهب نفسه وعن سر شعبيته واستحواذوا على كل حواس زوجها لكنها سرعان ما تصبح هي نفسها من تلميذاته المتحمسات وعندما تفشل في مغازلته وإغرائه تقرر البدء في كتابة قصة مستوحاة من حياتها الخاصة ،ولتجعل القصة أكثر واقعية تحاول سميحة أن تعيش مشكلة بطلتها شخصيا وهي التي كانت ترغب في أن تسعد بأكثر من رجل في آن واحد فتقبل مغازلة الشاب المثال فؤاد الذي كان قد نحت تمثال من الذاكرة لها لكنها رفضت في آخر لحظة الإستجابة لغريزتها أثناء غياب زوجها وتهرب من منزل المثال ويعلم الزوج بعلاقة زوجته بجارها فؤاد ويستشير راهب الفكر في تطليقها فيبحث الراهب حتى يتأكد من براءة تلميذته ويقنع زوجها بذلك.
وفي الرباط المقدس كان توفيق الحكيم يحكى عن الخطاب الدائر في أوآخر الثلاثينيات في مباشرة ودون محاولة للتخفي في التركيب الفني للخطاب الروائي.
وكانت هذه المقولة تتلخص في أن الملكية الفردية هي الرباط المقدس الذي تقوم عليه العائلة والمجتمع معاً . ورباط الملكية الفردية هذه يقتضي فيما يقتضي تقسيم العمل بين الرجل والمرأة , والرجل هو الذي يعمل وهو الذي يكسب دون المرأة التي ينعدم دورها الإنتاجي.. ويرتب هذا الموضع للرجل حقوق ملكية المرأة أو الزوجة ما ظل دورها معدوماً في اقتصاديات

الأسرة وبالتالي في أقتصاديات العمل . ولأن هذا هو الوضع يحق للرجل أن يخون الرابطة الزوجية ولا يترتب للمرأة مثل هذا الحق في الخيانة , إلا إذا عملت وكسبت مثل ما يفعل الرجل , ولذلك يترتب لها نفس حقوق الرجل , ومنها حق الخيانة ! ومن الطبيعي أن يتضمن مثل هذا الافتراض استحالة عمل المرأة وتكسبها من هذا العمل وخاصة بالنسبة لامرأة الطبقة الوسطى التي يتحلق حولها الحدث . فلا يعقل أن يرتب الحكيم حق الخيانة للمرأة في ظل ورود هذه الإمكانية في ذهنه , وهي لا ترد . فالوضع الأزلي في منظوره وهو يكتب الرواية , هو وضع ملكية الرجل للمرأة في نظام طبقي يقوم على تقسيم العمل بين النوعين من بني الإنسان , ويستحيل أن يخرج ولو قليلاً عن هذا الإطار.

وجاء الحدث في الرباط المقدس يكذب مقولات راهب الفكر الذي يتكلم بلسان الحكيم عن أزلية الأوضاع الاجتماعية , وبطلة الحكيم ذاتها تجسد متغيراً اجتماعياً تاريخياً من التغيرات التي سادت مصر في الثلاثينيات , وبصرف النظر عن الأحكام الأخلاقية التي يمكن أن تطلق على زوجة من أمثالها , فهي زوجة لا تلزم البيت ولا تلبس حزام العفة الذي يترحم عليه الحكيم. وهي زوجة تتيح لها المتغيرات الاجتماعية مغادرة بيت الزوجية والدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل, وهي دعوة لا تتأتى في مجتمعات ما قبل الرأسمالية,وملاحقة رجل غير زوجها في بيته والدفاع الفصيح عن سلوكها المشين وهو دفاع لا يتأتى إلا لامرأة تلقت قسطاً من التعليم , ولا يتأتى غلا في مجتمع تتعرض فيه العلاقات الاجتماعية لمتغيرات اجتماعية.

والبناء الروائي , يكذب مقولات راهب الفكر عن طبيعة المرأة , وعن نقص عقلها وحاجتها لحماية الرجل, وعن أزلية وضعيتها الدونية , لأن توفيق الحكيم يعمل ضد تيار التغير ويكرس في الرباط المقدس واقعاً مضى ولم يبق له وجود سوى في خياله ضد واقع قائم فعلاً ويأتي التضارب بين مقولات راهب الفكر وهي المقولات الرئيسية التي تستند عليها الرواية , وما بالبناء الروائي الذي

يكذب هذه المقولات , نتيجة لأن الكاتب يعمل ضد التيار , ويعي هذه الحقيقة أحيانا.

هذا وقد أغناني الإطار الذي قدمه الحكيم في الرباط المقدس عن التاريخ للوضعية الاجتماعية للمرأة والأسباب التي أدت بها إلى هذه الوضعية المتدنية . فقد أعطاني مثلاً كلاسيكياً يدلل على كل هذا دون حاجة إلى تاريخ فقد ارتبطت وضعية المرأة الاجتماعية فعلا بتقسيم العمل ما بين النوعين الذي تواكب فعلا مع ظهور الملكية الفردية وانتقال مركز الثقل من المشروع الجماعي للقبيلة إلى المشروع الفردي , ونتيجة لإضمحلال دور المرأة الإنتاجي بالتالي كمساهمة رئيسية في اقتصاد القبيلة في النظم ما قبل الرأسمالية , ثم كعضو في وحدة الأسرة الصغيرة التي أصبحت الوحدة الرئيسية في مجتمع الرأسمالية . (٨)

obeikan.com

٣- نظرة فتحى غانم للمرأة من خلال إحدى رواياته (زينب والعرش)

فتحى غانم أديب مصري ولد بالقاهرة عام ١٩٢٤ لأسرة بسيطة، وتخرج في كلية الحقوق جامعة فؤاد الأو ل)القاهرة حاليا) عام ١٩٤٤، وعمل بالصحافة في مؤسسة روزاليوسف، ثم انتقل إلى جريدة الجمهورية أو مؤسسة دار التحرير رئيسًا لمجلس الإدارة والتحرير، ثم عاد مرة أخرى إلى روزاليوسف حتى وفاته عام ١٩٩٩ عن خمسة وسبعين عامًا.

ملخص القصة :

تدور حول زينب ابنة « مدحت « التركي وخديجة المصرية الشعبية وعلاقتها بالمتنازعين على السلطة ولأن كانت السلطة هنا هي سلطة الصحافة وبالتحديد السلطة التى نشأت منذ البدايات الأولى لما سمي بعد ذلك بثورة ١٩٥٢، لذلك تتزوج زينب ـ رغم إرادتها ـ من نور الدين بهنس أحد العاملين بالسفارة وهو ليس دبلوماسيا بل مجرد موظف إداري.. يجب أن تعد أصابعك بعد أن تصافحه... فقد اتصف نور الدين بهنس بكل الصفات السيئة ، غير أن زينب تقع في حب السفير ذاته ـ النموذج الأرقى والأنظف، غير أنها لا تلبث أن تخونه... تقيم علاقات مختلفة مع آخرين بطريقة سلبية. فلم تتحرك زينب في حركة إيجابية لطلب الطلاق ومن أبرز من أقامت زينب معهم علاقات ، عبد الهادي النجار ، وهو نموذج آخر من الفساد

(الانتهازية والفجور والدعارة التي يمثلها عبد الهادي النجار، وقد استمر وجود عبد الهادي النجار قبل و الي ما بعد ١٩٥٢، وحتى ١٩٦٧رغم محاولات عبد السلام - ممثل الثورة – التخلص منه بفصله من رئاسة تحرير جريدة العصر الجديد ـ (... وتثمر العلاقة بين زينب وعبد الهادي، فتحمل منه سفاحا ـ غير

أنها وقبل أن تخبره بالحمل تكون قد قررت التخلص من الجنين بكل بساطة ويسر وكأنه شيء طبيعي ، ومن خلال عبد الهادي النجار تتعرف زينب على يوسف منصور، وهو النموذج النظيف الذي يمثل الطهر والبراءة فتقرر أن تتزوج منه.. فتسعى وتصر على الطلاق من نورالدين بهنس، وتحصل عليه لتتزوج من يوسف منصور وهو الزواج المتمثل في الكفاءة والحب، فيثمر الزواج مدحت وهو نفس اسم أبيها وكأنه التواصل بين الماضي والمستقبل ، أو استنباط الحاضر والمستقبل من الماضي واستمراريته في الصورة الجديدة . إلا أنها عندما تزوجته كانت إلى حد كبير قد أفرغت من مضمونها..كانت لا تملك إلا الجسد دون العقل ، فعندما تذهب زينب مع يوسف إلى شقة بعد أن استقر الزواج.. لم تكن تملك من الدنيا – دنياها السابقة – سوى جسدها. لا ذكريات ، ولا أهل ولا زوج ولا بيت.. كانت تعيش فيه وهي هنا بكل كيانها ، بكل جسدها وروحها معا ، وروحها هي جسدها ، هو ذلك الكيان الذي جاء ولا شيء أبعد منه ولا شيء غيره..

وفي زينب والعرش يجري فتحي غانم مقارنة قائمة على المفارقة ما بين جيل الأم من ناحية وجيل الإبنة من ناحية أخرى ,نخرج منها , بنتيجة صادقة إن القيم البورجوازية ذاتها توضع موضع المسائلة .وزينب لا تستسلم لمصير الخنوع والخضوع والجشع والحرص والتوائم مع المجتمع التي استسلمت له أمها . بل هي تتمرد على هذا المصير تمرداً مروعاً , وصادماً لكل القيم الأخلاقية المتعرف عليها . وهي تمارس حرية جنسية مطلقة في ظل زواج فرض عليها فرضاً ولا تستطيع أن تضع له نهاية ,إذ يرفض زوجها الطلاق . وهي تتقلب من فراش إلى فراش ساعية إلى لحظة نسيان أو متعة , وعاجزة عن تحقيق النسيان والمتعة . وهي تخضع لكل نزوة تواتيها حتى لو كانت هذه النزوة في بيت دعارة ,وهي تطيح بكل قيمة متواضع عليها , سواء تمثلت هذه القيمة في القوة , أو السطوة ,أو الرغبة في التسلق الاجتماعي أو التوائم مع القواعد الاجتماعية أو الاستحواذ ,أو الشعور بالتبعية لأى إنسان زوجاً كان هذا الإنسان أم عشيقاً

.وهي لا تستبقى سوى مجموعة قيم واحدة هي الصدق مع النفس , والاعتزاز بالذات , وإعلاء الإرادة الذاتية على كل إرادة والسعي إلى البهجة الخالصة والفرحة الخالصة والخلاص النفسي لفرحة الحياة. ورحلة زينب هي رحلة السعي نحو تحقيق هذه الغاية , بينما كانت رحلة أمها رحلة ذل خالص وإلغاء للذات ورضاء بالدونية وتقبل للتبعية وتنكر للوجود الإنساني المتكامل والموجود والمحسوس. ويزيد البناء الروائي من عمق المفارقة ما بين الأم من ناحية والإبنة زينب الأيوبي , من ناحية أخرى ويوضح إلى أي مدى بلغ الفسخ الاجتماعي في الانتشار , وكأنما هو قانون أبدي , وإلى أي مدى تنهار القيم السلوكية والأخلاقية . إذ يجعل الكاتب زينب ذات المظهر الصادم لكل السلوكيات المتعرف عليها , وذات الجوهر الأصيل النادر من وجهة نظره المعيار الأخلاقي التي تقاس عليه بقية الشخصيات.

والصراع الرئيس في زينب والعرش هو صراع مزدوج , وهو صراع حول السلطة من جهة , وهو صراع أيضاً للتوصل إلى القيم التي تمثلها زينب بالأيوبي . والصراع حول السلطة أثناء ثورة يولية هو صراع بين المنطق الذي لا يعترف بقيمة من القيم سوى قيمة القوة والسلطة ويمثله عبد الهادي رئيس تحرير ((العصر الجديد)) , وبين عبد السلام دياب الذي يمثل الثورة ويتدثر بشعارت دينية جوفاء وكلمات حماسية جوفاء ويتخمض هذا الصراع عن انتصار عبد الهادي الذي يعرف قواعد اللعبة.

والصراع في جانبه هذا هو صراع حول السلطة ينتصر فيه عبد الهادي النجار راهب السلطة , ولكن الوقوف عند هذا الحد فيه تسطيح مخل بأشياء , فنحن بإزاء راهبة أخرى تناقض عبد الهادي النجار , راهبة تعادله في قدراته إن لم تفقه , وهبت نفسها للوصل إلى ما تريد والاحتفاظ به . غير أن الهدف الذي تسعى إليه زينب الأيوبي ليس هدف السلطة وإنما هو الحب والفرحة والبهجة , وربما كان هدفها باختصار هو طريق جديد غير طريق المجتمع الذي تجد نفسها أسيرته , غير طريق القهر الذي هو شيمة هذا المجتمع , وغير طريق الغابة الذي

هو شريته ووجود الراهبة هو الذي يجعل الصراع أكثر تركيباً وتعقيداً .. فزينب الأيوبي تشكل القطب الذي تتحلق حوله الشخصيات أو لاً سواء النقائض منها أو الأشباه , وهي تمثل عامل التغيير لأكثر من شخصية من شخصيات الرواية , وهي طرف في صراع ينتهي بانتصارها , وهي التي تجعل الصراع مزدوجاً ونتيجة الصراع نتيجة مزدوجة أيضاً . فعبد الهادي ينتصر في الرواية وينهزم وهو ينتصر في جبهة السلطة وينهزم في جبهة زينب وما تمثله هزيمة نهائية , تتجسد في زواجه من سعاد حرب المرأة التي تبيع جسدها توصلاً للسلطة . وهزيمة عبد الهادي مروعة لأن زينب تمثل الجانب الإنساني والأصيل المكبوت فيه , وهو يدرك هذه الحقيقة . وزينب وليس أخيراً رغم تمردها على الأخلاقيات التقليدية , وربما لتمردها على هذه الأخلاقيات , تنصب كالمعيار الأخلاقي الذي تقاس بمداه بقية الشخصيات . فكل شخصية جيدة بمدى ما تقترب من زينب , وكل شخصية سيئة بمدى مالا تستطيع الاقتراب من مدارها. ولكن الرؤية التي تكمن خلفها لا تشكل مجرد تطور تاريخي , بل تجسد تمرداً رومانسياً على أبنية اقتصادية وسياسية واجتماعية عفنة , تعزز قيماً اجتماعية عفنة وتعلى كل قيمة غير الإنسان . والتمرد يشكل عاملاً مشتركاً بين الكاتب وبطلته , واغتراباً من جانب كليهما عن واقع يحول البشر إلى أشياء . والتمرد الرومانسي ليس منه شأنه أن يحل مشاكل المجتمع ولا مشاكل المرأة . إن فتحي غانم يري في السعي إلى الفرحة والبهجة , وفي التحرر من قيم التملك والاقتناء والرغبة في الاستحراز على المال والسلطة والقوة طريق الخلاص لواقعنا العربي . ولكن تبقى حقيقة أن هذا الخلاص مستحيل في ظل أطر اقتصادية وسياسية واجتماعية قائمة على التملك والقهر (٩)